



الشباب والشهادة في سبيل الله

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾
[الكهف: ١٣].

نحن في الخطبة السابعة عشرة من سلسلة قضايا الشباب , تحدثنا: لماذا هذه السلسلة، الشباب في القرآن الكريم، الشباب في حديث سيدنا محمد ﷺ، الشباب والعلم، الشباب والعمل، الشباب والمسجد، الشباب والعفة، الشباب ووسائل الاتصال الحديثة، الشباب وبر الوالدين، الشباب والحب، الشباب والهدف، الشباب والصلة بالله، الشباب والوقت، وحديث اليوم عن الشباب والشهادة في سبيل الله.

أيها الإخوة الكرام:

مما لا شك فيه أننا بحاجة إلى شباب يعيشون في سبيل الله، ومما لا شك فيه أيضاً أننا بحاجة إلى شباب يعيشون في سبيل العلم والعمل الذي يخدم دينهم وأوطانهم، ولا مرية أيضاً أننا بحاجة إلى شباب يموتون في سبيل الله لحماية دينهم وأوطانهم. إننا نحتفل بعيد المعلم؛ لأنه رمزٌ للعلم الذي تنهض به الأمة، ونحتفل بعيد العمال؛ لأنهم رمز العمل الذي تقوى به الأمة، ونحن أيضاً نحتفل بعيد الشهداء؛ لأنهم رمز الشرف الذي تباهي به الأمة، ويزداد به عن حياضها.

إننا بحاجة إلى قوة الحق، قوة العلم والعمل، قوة المال والفكر، قوة الخلق والصلة بالله، لكننا بحاجة أيضاً إلى حق القوة التي يمثلها الشهداء والمقاتلون في سبيل الله.

لأن الحق الذي لا تحميه القوة تداعى عليه الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها.

لكل هذا كان من خطب هذه السلسلة الشباب والعلم لأن العلم قضية من قضايا الشباب .

و الشباب والعمل؛ لأن العمل قضية من قضايا الشباب.

و الشباب والمسجد ؛ لأن المسجد قضية من قضايا الشباب.

واليوم الحديث عن الشباب والشهادة؛ لأنه ينبغي أن تكون الشهادة قضية من قضايا الشباب، وينبغي أن تكون أملاً ينشده الشباب.

الشهيد كما عرفه العلماء: هو من يُقتل أو يموت في الحروب مع الأعداء من الكفار. وسمي الشهيد شهيداً لسبعة أوجه كما ذكرها النووي⁽¹⁾، قال:

سمي الشهيد شهيداً؛ لأن الله تعالى ورسوله شهدا له بالجنة، ولأنه حيٌّ عند ربه، ولأن ملائكة الرحمة تشهدُه فتقبضُ روحه، ولأنه ممن يشهد يوم القيامة على الأمم، ولأنه شهد بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله، ولأن له شاهداً بقتله في سبيل الله وهو دمه، ولأن روحه تشهد دار السلام أي: الجنة، وروح غيره لا تشهدا إلا يوم القيامة.

وقال ابن الأثير: الشهادةُ القتلُ في سبيل الله، وإنما سمي القتل شهيداً؛ لأن الله وملائكته شهدوا له بالجنة.

فأيها الإخوة الكرام: أية سعادة وأية منزلة يطمح لها أحدنا أكبر من هذه؟! كلٌّ تفريطٍ اقترفه في حق الله فلا عقاب ولا عتاب، إنما تمنحهم الشهادة الحياة والخلود فلا يموتون كما يموت الناس، إنما تفتح لهم أبواب الجنة يتقلبون فيها بينما الأحياء على الأرض لا يزالون.

مهما مضينا في تعداد بركات الشهادة على أصحابها فما أعدَّ الله لهم يفوق كلَّ تعداد، ومهما حاولت البلاغة البشرية أن تخلع على الشهداء أبهى ما تملكه من حُلل التمجيد فلن تبلغ شعاعاً واحداً من أشعة تمجيد القرآن الكريم وبلاغة سيدنا محمد ﷺ.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (I69) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (I70) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (I71)﴾ [آل عمران: 169 - 171]

جاء في "صحيح مسلم" عن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال رضي الله عنه: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم

(1) انظر "شرح النووي على مسلم" 1/262، الحديث رقم (201).

رَبِّهِمْ اِطْلَاعَةً فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهُي؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَتْنَا فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ نَرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نَقْتُلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى»⁽¹⁾.

وَفِي صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا -وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ- إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ»⁽²⁾.

لِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ عَظِيمِ قَدْرِهِ عِنْدَ اللَّهِ وَرَفْعَةِ مَكَانَتِهِ يَقُولُ:
«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزَوْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزَوْ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزَوْ فَأُقْتَلَ»⁽³⁾.

وَلِهَذَا كَانَ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَمَنُّونَ الشَّهَادَةَ وَيَدْعُو أَحَدُهُمْ إِذَا ذَهَبَ إِلَى الْمَعْرَكَةِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي الشَّهَادَةَ وَلَا تَرُدَّنِي إِلَى أَهْلِي خَائِبًا.

وَإِذَا مَا مَنَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الذَّهَابِ مَعَهُ إِلَى الْقِتَالِ -لِعَرَجٍ أَوْ لِمَرْضٍ أَوْ لَغِيَابِ الرَّاحِلَةِ أَوْ لَعَذْرِ مَا- بَكَى بَكَاءَ الْأَطْفَالِ وَتَوَلَّى وَعَيْنِيهِ تَفِيضٌ بِالْدمْعِ.

وَلِهَذَا قَالَ سَيِّدُنَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رضي الله عنه لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فِي حِمَصٍ وَهُوَ عَلَى سَرِيرِ الْمَوْتِ:
لَقَدْ شَهِدْتُ مِائَةَ زَحْفٍ أَوْ زَهَاءٍهَا، وَمَا فِي بَدْنِي مَوْضِعٌ شَبْرٍ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ أَوْ طَعْنَةٌ أَوْ رَمِيَّةٌ، وَهِيَ أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي كَمَا يَمُوتُ الْعَيْرُ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجَبَنَاءِ»⁽⁴⁾.

وَلِهَذَا يَتَسَابَقُ الشَّبَابُ الْأَبْطَالُ فِي فَلَسْطِينَ نَحْوَ الشَّهَادَةِ فِي قِتَالِهِمُ لِلصَّهَابَةِ الْحَاقِدِينَ،
وَلِهَذَا يَتَسَابَقُ نَحْوَ الشَّهَادَةِ الْمُقَاوِمُونَ فِي الْعِرَاقِ فِي مُقَاوَمَتِهِمْ لِلْإِحْتِلَالِ الْأَمِيرِكِيِّ.

سَأَحْمِلُ رُوحِي عَلَى رَاحَتِي وَأُلْقِي بِهَا فِي مَهَاوِي الرَّدَى

(1) برقم (4885).

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي "صَحِيحِهِ" بِرَقْمِ (2817)، وَمُسْلِمٌ فِي "صَحِيحِهِ" بِرَقْمِ (4868)، وَأَحْمَدُ فِي "مُسْنَدِهِ" بِرَقْمِ (12771).

(3) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي "صَحِيحِهِ" بِرَقْمِ (4859)، وَأَحْمَدُ فِي "مُسْنَدِهِ" بِرَقْمِ (7157)، وَفِي الْبُخَارِيِّ بِرَقْمِ (7227) بِلَفْظِ «أَحْيَا فَأُقْتَلَ».

(4) "سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ" 1/382.

فإما حياة تسرُّ الصديق وإما مماتٌ يغيبُ العدا

لما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى بدرٍ أراد الخروجَ معهم الصحابيُّ عمرو بن الجموح ﷺ وكان يومها مُسنّاً أعرجَ، فمنعه بنوه الأربعة بأمر رسول الله ﷺ لشدة عرجه، فلما كان يوم أُحُد قال لبنيه: منعموني الخروج إلى بدرٍ، فلا تمنعوني الخروج إلى أُحُد، فقالوا: إن الله عذرُك، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن بنيَّ يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك، ووالله إني لأرجو أن أطأ الجنة بعرجتي هذه، فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرَكَ الله ولا جهاد عليك»، وقال لبنيه: «لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة»⁽¹⁾، فأخذ سلاحه وولى وقال: اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائباً، فلما استشهد يوم أُحُد قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لقد رأيته يطأ الجنة بعرجته»⁽²⁾.

ثم أمر رسول الله ﷺ فقال: «انظروا فاجعلوا عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح في قبرٍ فإنهما كانا في الدنيا متحابين متصافيين» ودُفنا معاً، وبعد مضي ستِّ وأربعين سنة على دفنهما وفي حرارة أرض الحجاز، نزل سيلٌ شديد غطى أرض القبور فسارع المسلمون إلى نقل رُفات الشهداء، فإذا هم - كما وصفهم الذين اشتركوا في نقل رُفاتهم - لينة أجسادهم تتشنى أطرافهم.

يقول جابر بن عبد الله ﷺ وقد ذهب لنقل رفات أبيه عبد الله بن عمرو ورفات زوج عمته عمرو بن الجموح ﷺ: وجدُّهما في قبرهما كأنهما نائمان لم تأكل الأرض منهما شيئاً، كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد وضع يده على جرحه فدُفِنَ وهو كذلك، فأُمِيطت يده عن جرحه فرجعت كما كانت⁽³⁾.

قال الإمام أحمد بن حنبل:

لا نعلم شيئاً من أبواب البر أفضلَ من الجهاد .. وذكر له أمرُ العدو فجعل يبكي ويقول: ما من أعمال البر أفضلَ منه .. ليس يعدل لقاء العدو شيء .. والذين يقاتلون

(1) "سيرة ابن هشام" 2/78.

(2) "أسد الغابة" 4/96.

(3) "أسد الغابة" 3/344.

العدو هم الذين يدفعون عن الإسلام وحریمهم، فأی عمل أفضل منه؟ الناس آمنون وهم خائفون، قد بذلوا مَهَجَ أنفسهم .. ونفعهم یَعْمُ المسلمین کلهم صغیرهم وکبیرهم، قویهم وضعیفهم، ذکرهم وأنثاهم، وغیر الجهاد لا یساویه فی نفعه وخطره، فلا یساویه فی فضله وأجره.

فیا أیها الإخوة:

نحن بحاجة إلى أن نربی أنفسنا ومن حولنا تربية حب الشهادة والشهداء، تربية تربطنا بالسماء أكثر من ربطنا بالأرض، تربية نتعلم بها أن نضحی لأجل الآخرين لا أن نستنزف ونستثمر تضحية الآخرين، تربية نُرهَبُ بها عدو الله وعدونا من أعداء المسلمین الذين یتربصون ببلادنا وبلدیننا.

فالشهید الذي یقتل ویقتل یدفع بقتله وقتاله القتل عن جمیع أفراد الأمة.

والشهید الذي یریق دماً ویراق دمه یصرف إراقة الدماء عن مجموع أفراد الأمة.

والشهید الذي یموت فی سبیل الله یموت لتحیا جمیع الأمة.

فی ختام هذه الخطبة ما المطلوب منا؟

أولاً- أن نربی أنفسنا على حب الشهادة والشهداء.

ثانياً- أن نذكر لأبنائنا قصص الشهداء الأبطال.

ثالثاً- أن ندعم أسر الشهداء بكل ما نستطیع.

رابعاً- أن لا نغفل حیاتنا وحياة أبنائنا بالبذخ والترف والنعومة؛ لأن من تربی على هذه الحياة تصعب علیه التضحية.

عن المقدم بن معد یكرب قال رسول الله ﷺ: «لشهیة عند الله ست خصال: یُغفر له فی أول دُفْعَةٍ من دمه، ویرى مقعده فی الجنة، ویجار من عذاب القبر، ویأمن من الفزع الأكبر، ویحلی حُلَّةَ الإیمان، ویزوّج من الحور العین، ویشَقَّعُ فی سبعین إنساناً من أقاربه»⁽¹⁾.

(1) أخرجه الترمذی فی "جامعه" برقم (1663)، وابن ماجه فی "سننه" برقم (2799)، وأحمد فی "مسنده" برقم (17182).

والحمد لله رب العالمين